**الفكـر السياسـي القديم - الجزء الأول-**

**الفكر السياسي الصيني**

**الانطـلاق إلـى عصـر المحـاور:**

لقد تم إرساء أسس الثقافة الصينية في الفترة الممتدة بين **800 – 200 ق.م،** و التي وصفها الفيلسوف الألماني **كـارل ياسبـرس *Karl Jaspers*** بـ **عصـر المحـاور.** في تلك الفترة عرفت الثقافة الصينية نقلة نوعية كنتيجة للحوار الذي أفرزه تضارب آراء **" المـدارس المئـة " و تحدّدت وفق ذلك المعالم الأساسية للفكر الصيني.** أما في **الهنـد فقد كان التركيز منصبا على تدريس تعاليم بـوذا.** و في بلاد **فـارس صاغ زرادشـت صورة العالم المملوء بالكفاح بين الخير و الشر.** و في **فلسطيـن** ظهر العديد من الأنبياء. و في **اليونـان** نظم الشعر **هوميـروس و غيره وصولا إلى أرسطو و أفلاطون الذين أبدعوا أفكارا سياسية عظيمة، تخلى بموجبها الفرد عن بداهة الخرافات و دخل مرحلة عالم العقل،** و بعد أن كان في الماضي على حد تعبير **هيغـل " يتقيّد بالإرادة العامة دون تأمل و بإيثار شديد " بدأ يطرح الأسئلة و يشكك في الأمور.** لقد أراد أن يكتشف بنفسه " ما كان خيرا و ما كان شرا ".

في هذه المرحلة تحركت ثلاث مناطق كانت جميعها في **أوراسيـا[[1]](#footnote-1)** ، و أرست آنذاك الأسس التي قامت عليها خلال الألفين و نصف الألف التالية من السنين **الدوائـر الثقافية الثلاثة الكبرى لعالمنا المعاصر: دائـرة الثقافـة الصينيـة، دائـرة الثقافـة البوذيـة و الهندوسيـة، دائـرة الثقافـة الإغريقيـة- الرومانيـة و اليهوديـة المسيحيـة،** و التي أفضت فيما بعد إلى الثقافات المتآخية الثلاث، أي **الثقافة الأوروبية، الثقافة البيزنطية- الروسية، و الثقافة الإسلامية.** *و قامت ثقافات عصر المحاور الجديد بامتصاص الثقافات الكبرى الموجودة في ذلك الزمان ( بلاد ما بين النهرين، مصر، ... ) و التي بقيت جميعها في الذاكرة كفترات ما قبل التاريخ.*

يعتبر الفكر السياسي في الحضارات الشرقية القديمة،و خصوصا،في الصين والهند فكرا متميزا عن الأفكار السياسية التي ظهرت في الحضارات المتوسطية.ذلك أن الفكر الآسياوي امتاز بعدم تأثره بالحضارات الأخرى،و بالتالي بقي بمعزل عنها مما أدى إلى تفرده بخصوصيات ذاتية مقارنة بالفكر السياسي في الحضارات الأخرى. و من الخطأ الاعتقاد أن الفكر السياسي في إرهاصاته الأولى قد بدأ في بلاد الإغريق،كما يريد التمركز الأوروبي الإيحاء به،انطلاقا مما سمّي -المعجزة الإغريقية- .لأن الإغريق أنفسهم تأثروا بالمناخ الثقافي و الفكري السائد في الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط،و خاصة في مصر الفرعونية(**سولون،فيتاغورس،هيرودوت،أفلاطون**)،و بلاد الرافدين(**فيثاغورس و هيرودوت**)،ثم مباشرة مع الهند و الشرق الأقصى مع فتوحات الإسكندر المقدوني تلميذ أرسطو.

كانت المدينة الصينية جزءا من إدارة ذات حكم مركزي. و كانت الحضارة الصينية موجّهة، و بشكل عام، وفقا لمعايير السلوك الإنساني، أي جانب كونها ثقافة كتابية ذات توجّه تعليمي، و لم تكن ثقافة الخطابة العامة. و قلّ الاهتمام بالفلسفة التأملية المنظمة كما كان في بلاد اليونان، أو بالتحرر و الخلاص كما كان في بلاد الهند، و لكن الحضارة الصينية اتّجهت نحو الشؤون العملية و البراغماتية (النفعية).

# **الفكر السياسي في الحضارة الصينية القديمة**

**1-تبلور الثقافة الصينية:**

عرفت الأمة الصينية حياة المجتمع البدائي الطويلة،و التي كانت مصدرا لابتكار الثقافة البدائية و الأساطير مما أدّى إلى تراكم تدريجي ليتشكل بذلك الكيان الثقافي الأول و المشترك بينهم.

و عند مقارنة الأساطير الصينية بأساطير الأمم الأخرى،نجدها تتميّز بما يلي:

\*-**الجو المهيب الصارم و روح الكفاح و الجلد في سبيل التقدم:**فعند مطالعة الأساطير الصينية نشعر دائما بقوة الجذب المعنوية و الجو المهيب،و أن كل شئ شاق و عسير.على خلاف الأساطير الإغريقية التي نشعر عند مطالعتها بجو التمسرح الحيوي الطروب.

\*-**الاتجاه البارز للمبادئ الأخلاقية و مشاعر الحكماء:** إن تقييم المبادئ الأخلاقية يتفوق على التقييم العلمي،و الاهتمام بالخير يتجاوز الاهتمام بالجمال و السعي وراء الحقيقة،باعتبار أن هيكل الخير يتضمن الحكم على الجمال و الحقيقة،و يعد ذلك التقليد النفسي و الثقافي للصين دائما.

**\*-تاريخ الأسطورة:**تم جعل تأليف الأسطورة من أجل التاريخ أيضا.فمنذ أن بدأ **سيماتشيان** تأليف السجلات التاريخية،ظل تأليف الكتب التاريخية و إجراء البحث العلمي التاريخي من أهم مضامين الثقافة الرسمية.

لقد كانت ذروة التقدم المفاجئ في الثقافة الصينية تتمثل في الحوار و النقاش بين مؤيدي المدارس الفكرية المختلفة في فترة ما قبل **أسرة** تشينQIN (221 ق.م-207 ق.م) و تأسيس المكانة الثقافية الكنفوشيوسية و العلم الكنفوشيوسي.و يكمن مغزى ذلك التقدم المفاجئ في الثقافة في التخلص من **الطوطمية[[2]](#footnote-2)**،و نبذ عبادة الآلهة و ديانة أساطير الأشباح،و إقامة شرعية نظام المجتمع العشائري،و طرح تنظير و تنظيم طريقة النظر إلى الكون.بالإضافة إلى تأسيس نظام كامل لأفكار المبادئ الأخلاقية.

يعد الاقتصاد الزراعي الأسلوب الرئيسي و الأساسي للإنتاج و لحياة الصينيين عبر التاريخ، و هو الحقيقة الكاملة لأساس الثقافة الصينية التقليدية أيضا.و تعتبر الصين من أوائل الدول التي شهدت تطورا زراعيا في العالم،و في أسرتي تشانغSHANG (1600 ق.م-1100 ق.م) و تشوZHOU (1100ق.م-221ق.م) كانت الحياة الزراعية هي الركيزة الأساسية،و تعتبر الأسرة ساحة الأنشطة الرئيسية للصينيين التقليديين.

**2-البنية الاجتماعية الصينية:** يتحدد مغزى الحياة و قيمتها داخل نطاق الأسرة،و يكمن جوهر الحياة في واجب الأسرة.و ما يطلق عليه لقب الواجب **هو الشعور الذاتي بالمسؤولية الأخلاقية.**و قد تميّز الصينيون التقليديون بالوعي الشديد إزاء هاته الأخيرة في إطار العشيرة.و ظفر النظام العشائري في الثقافة الصينية التقليدية بالاهتمام الخاص،و هو ما يطلق عليه **الأسرة أساس الدولة،**و إذا توطد الأساس استقرت الدولة،و هو ما يعني أن وجود الدولة قائم على أساس الاهتمام بالأسرة و رعايتها.

حسب وصف **ماكس فيبر** فإن الصين "**دولة على طراز الهيكل العشائري".**و يعدّ ذلك من الخصائص البارزة لنموذج الدولة التقليدية في الصين.و تتجسد الخصائص المحدّدة للنظام العشائري الصيني في الجوانب الآتية:

**\*-الأسرة في النموذج الأصلي للدولة:** ينطلق تصور الصينيين لنموذج الدولة من مفهوم القاعدة العشائرية،و اعتبروا أن الدولة تكبير للأسرة،و بالنسبة للدولة تعد الأسرة النموذج الأولي و الشكل الأصلي لها.و لذلك،تطبق سياسة الدولة مبدأ تكوين الأسرة،و تحولت سلطة الأب إلى سلطة الحكام،و يتغير نظام الكبار و الصغار داخل العشيرة إلى مراتب المنزلة في المجتمع،و تحولت العلاقات الإنسانية حسب الأعراف الإقطاعية داخل العشيرة إلى نظام المراسم و الأخلاق كمعيار لحكم الشعب و معالجة شؤون البلاد في المجتمع.

**\*-الترابط بين التنظيم العشائري و تنظيم الدولة:** نظرا لأن النظام العشائري قائم على أساس علاقة قرابة الدم لتحديد توارث السلطة،و أن إنشاء شبكة تنظيم الدولة يكون طبقا لشجرة النسب العشائرية،لذلك تكون مثل تلك الدولة هي **دولة الأسرة،**و ذلك ما يطلق عليه أسرة واحدة تهيمن على الدولة كلّها.حيث يتم الاندماج الوثيق بين التنظيم العشائري و التنظيم السياسي.و من ناحية أخرى يعدّ الحاكم و الملك بالنسبة للرعية بمنزلة رب الأسرة الكبير،كما يعتبر كل واحد من الموظفين المحلييّن الحكومييّن بمنزلة ربّ الأسرة الصغير(موظف الوالدين) و مسؤوليته الأساسية هي مساعدة عامة الشعب (بمعنى الهيمنة و المؤازرة و السيطرة).و لكن عامة الشعب هم أبناء الشعب،الأفراد الصغار و لا يستطيعون سوى الطاعة العمياء لسلطة الأب داخل الأسرة.

**\*-نظام المراسم و الأخلاق كمعيار لحكم الشعب و معالجة شؤون البلاد:** إن النظام العشائري في الصين يعتمد على العلاقات الأخلاقية حسب الأعراف الإقطاعية داخل العشيرة ليحافظ على تماسكه و وحدته.و يعدّ النظام بين الكبار و الصغار في المقام الأول من علاقة المبادئ الأخلاقية بين الأفراد،و امتدت مثل تلك العلاقة إلى الخارج و جعلت نطاق المبادئ الأخلاقية و الفضيلة داخل نظام العشيرة يصبح أساس أخلاق المجتمع ككل بصورة تدريجية.إن برّ الوالدين هو قاعدة الأخلاق الصينية حيث يتسع نطاقه و يصل إلى الإخلاص إلى الملك.و يعد ذلك ما يسمّى بـ **الشريف** يهتم ببر الوالدين،و لذلك يمكن أن ينتقل الإخلاص إلى الملك،و يعامل الأخ الأكبر باحترام و تقدير مما يجعل احترام الوالي سهلا.كما يدير شؤون البين و لذلك يعم البلاد الأمن و النظام اللذان ينتقلان إلى موظفي الحكومة.و تُنشأ سيطرة سلطة الحاكم النظام الكامل للأخلاق و المراسم لحكم الشعب و معالجة شؤون البلاد من خلال تطبيق أسلوب سلطة المبادئ الأخلاقية التي تصبح نوعا من الوعي الأخلاقي حيث تجعل الناس يطيعون سلطة الحاكم طاعة عمياء على غرار الطاعة العمياء لسلطة الأب.

**3/-شكل الدولة:** إن الاستبدادية هي الصفة المميزة الأساسية لنموذج الدولة في المجتمع الصيني التقليدي.و قد حققت السياسة التوافق بين التكوين الاقتصادي و الزراعي و أسلوب الإنتاج في المجتمع الصيني التقليدي،و بين الهيكل النفسي الثقافي و الاجتماعي الذي يتخذ من المبادئ الأخلاقية العشائرية محورا له.و لذلك استطاعت تلك السياسة أن تظل مستقرة عبر آلاف السنين و لم تنحط قواها.إن الأسرة و الدولة هما قطبا هيكل المجتمع الصيني التقليدي.و يتسم هذان القطبان بالعلاقة الوثيقة و الخصائص المشتركة بسبب الهيكل المتماثل للأسرة و الدولة في المجتمع العشائري.كما أنهما يشبهان شبكة كبيرة حددت نطاق أنشطة حياة الصينيين و مغزاها في ظل النظام البيروقراطي لسلطة الملك المركزية، و نظام رابطة قرابة الدم العشائرية حيث التنظيم الاجتماعي للصينيين محدّد تحديدا صارما.

**4/-مميزات الفكر السياسي الصيني:** يتميز الفكر السياسي الصيني بعدة سمات أهمها:

**\*/-العلمانية:** بقي العنصر الديني في الحياة الصينية أساسا غير مدعم بالتنظيم و المؤسسات الدينية.

**\*/-الاكتفاء الذاتي:**الفكر الصيني كله مشتق من خبرة تقاليد ثقافية واحدة فلم يستقبل أية مؤثرات هامة من الثقافات الخارجية.

**\*/-العملية**:مشكلة هذا الفكر الأساسية هي كيفية تحقيق النظام و الاستقرار و الأمن في عصور الاضطراب و الفوضى و الانحلال.

**كونفوشيــوس:**

عاش كونفوشيوس بين سنتي 551 ق-م و 479 ق-م و هو أحد أبرز مفكري الصين.اسمه الصيني هو **كونغ كيو،**أما كونفوشيوس فهو الاسم اللاتيني انطلاقا من كلمتي **كونغ فوتزي أي السيّد أو المعلم كونغ.**ينحدر كونفوشيوس من سلالة تتصل مباشرة بملوك عائلة **ييـن** التي أطاحت بها عائلة **شو،**و قد هاجرت أسرته إلى ولاية **لـو** ،و استقرت في منطقة **زو.**لم يقم كونفوشيوس ببناء نظام فكري خاص به،بل أعاد صياغة التقاليد الصينية،بحيث ارتكز عمله على إعطاء شكل و تماسك جديدين للأفكار و المؤسسات و الممارسات الاجتماعية التي كانت قائمة في عصر المملكة القديمة.و من هنا،لا يقال في الصين **كونفوشيوسية** بل **ثقافة المتعلمين أو مدرسة المتعلمين.**و صاغ مؤلفه الكبير **حوليـات بلاد لـو** الذي يشار إليه بالصينية **حوليـات الربيعيـات و الخريفيـات،**و هي مرحلة ممتدة من 722 إلى 481 ق-م وجاء هذا الكتاب في شكل مجموعة من الدروس عن التاريخ من شأنها توعية معاصريه على ضرورة استعادة النظام الاجتماعي الذي كان سائدا في بداية حكم عائلة **شو** التي تأسست في نهاية الألف الثاني ق-م.

امتازت تلك الفترة بوجود سلطة ملكية قوية قائمة على نظام إقطاعي يستند على العلاقات التراتبية للقرابة(نظام العشيرة و قواعد عبادة الأجداد)،و قد ضعفت هذه الملكية بعد الغزوات البربرية حوالي 770 ق-م، و فقدت كل سلطة على الولايات الكبرى التي انتهى بها الأمر إلى التحول إلى دول مستقلة في العصر الذي سمّي بـ **المماليك المتحاربة.** و توافق هذا التحول مع تغير في البنى الأسرية و الثقافية في المجتمع الصيني، و بدأ نمط من الحكومات المحلية يتطور بناء على تنظيم إداري منفصل و ضمن سياسة تتجه نحو الانفصال عن السلطة المركزية، سياسيا، اقتصاديا، و إداريا.

من أجل الوصول إلى الإصلاحات التي كان يسعى من أجلها، بنى كونفوشيوس منهجه على عدة جوانب هي:

**أ/-العـودة إلـى العصـور القديمــة:** في فترة كان طابعها الأساسي هو الفوضى و الانحلال، سعى كونفوشيوس إلى إصلاح الأوضاع، لكن على خلاف محاولات أخرى ركّزت على الأخلاق، ركّز كونفوشيوس على فكرة العصور القديمة. و كانت أسئلته الأساسية تتمثل في: ماذا يقصد بالعصور القديمة؟ كيف نحوز عليها؟ و كيف يمكننا تحديثها؟.

إذا رجعنا إلى العصور القديمة فهذا يحمينا من الغرور و يمنعنا من محاولة البلوغ بواسطة إمكانياتنا المحدودة طموحات واسعة جدا. هذا التواضع يتيح فرص الإيمان و تضافر كل من يحوز على نزعة تقليدية." **أنا هنا من أجل نقل التقاليد و ليس للإبداع من جديد: أنا وفـيّ أحب العصور القديمة".** هكذا لخّص كونفوشيوس مسعاه لإعادة الاعتبار لهته الفترة، فهو من خلالها يحاول بناء صورة للتاريخ هدفها تثمين الحقيقة الوحيدة. و التاريخ حسبه يبدأ مع أولئك الذين أنشؤوا المجتمع، الحكومة، التقاليد و القوانين. ففي فجر التاريخ كانت هنالك الوجوه المثالية لـ **ياو** و **تشوان هيو**، و لقد اختار هؤلاء الحكام المؤسّسين أفضل و أخّير الرجال لخلافتهم. بيد أن المصائب حلّت مع عائلة **هيـا** التي أسّست الحكم الوراثي، مما أدّى إلى تدهور الحكم وصولا بالحاكم إلى حالة المستبد. و بما أن هذا الأخير كان يضطلع بزمام الأمور بعيدا عن إرادة السماء، أبعدته ثورة شعبية نصّبت مكانه حاكم جديد يدعى **تانـغ** مؤسس عائلة **تشانـغ.** لكن عدم إلغاء الوراثة أدّى إلى تكرار المشكل. و في القرن 12 ق-م تم استبدال آخر حاكم **تشانـغ** المستبد بعائلة **تشــو** التي عادت بالأمور السياسية إلى حالتها الأولى. كان هدف كونفوشيوس هو العودة بالأوضاع السياسية و الاجتماعية الصينية التي عاصرها إلى الحالة التي كانت سائدة في العصر الأول لعائلة **تشــو،** و خاصة الملك **تشــو** الذي حكم نيابة عن حفيده القاصر رافضا الإطاحة به. و تعتبر كتابات هذا الملك و أخباره أهم مرجع فكري عند كونفوشيوس. و إذا كانت الحقيقة موجودة في الماضي، فالطريق المؤدية إليها تمر عبر اكتشاف هذا الماضي و التمييز بين ما هو صحيح و خاطئ. و يعرف هذا الطريق بـ **التعلّم،** ليس علم شيء معين فحسب، بل اكتسابه. و النهج الذي يؤدي إلى هذا الطريق موجود في الكتب و التعليم المدرسي. و من خلال جمعه لكتب القدماء، أشعارهم، طقوسهم، أعرافهم، حاول كونفوشيوس تسهيل المهمة لطلابه في المدرسة التي أنشأها من أجل تكوين رجال الدولة في المستقبل.

**ب/-نـزع الصفـة الرسميـة عن الكتابـة:** كان استعمال الكتابة في الصين وقفا على تسجيل الممارسات الدينية و الرسمية، و لحفظ أرشيف التنجيم، الحكومات، الحوليات، و الأناشيد الشعائرية و الشعبية. و كانت تعتبر على أنها أداة مقدسة دينيا و كاشفة للمعنى السرّي للأشياء. و لم يكن هناك مؤلفون بل مسجلون فقط. و أول من خرج عن هذا التقليد كان كونفوشيوس الذي كان مقتنعا بأنه مكلف من السماء بمهمة إعادة النظام الاجتماعي، فاستخدم الكتابة لتوعية معاصريه على المبادئ التي يجب أن تسود المجتمع بل و أعطى لنفسه الحق في إعادة كتابة حوليات بلاده، فكان كتابه **حوليات بلاد لـو.**

**ج/-إعـادة الاعتبـار للمبـادئ السياسيـة و النظـام الاجتمـاعي:** تتحقق الفضيلة من خلال تعامل الأفراد فيما بينهم و من خلال ممارسة الحكم. و تتجسد في الصفة الفردية في مثالية النبيل.

**\*-اللــي:** يتحقق النظام بواسطة الأخلاق(تعنى اللـي قواعد السير و المعاملة).**" لا يمكن قيادة شعب إلا بواسطة الأخلاق، لا عن طريق المعرفة".** تكسب هاته الأخلاق الجماعة روحا مقابل انتعاشها منها. و لا يصبح الفرد رجلا إلاّ من خلال مثل الجماعة. و اللـي تحقق التربية المستمرة للجميع: المشاركة الجادة، الثقة و الاحترام و تقود الفرد عن طريق عام راجع إلى تربيته، و يصبح بمثابة طبيعة ثانية عنده، بل و يصبح جزء من ذاته. و هذه القواعد تمكّن الفرد من حيازة الصرامة، الأمن و الحرية. و يقول كونفوشيوس أن الإنسان الذي" **ينتصر على نفسه يقبل بحدود اللـي، و قوانين الأعراف."** و بالرغم من كون العدالة قضية أساسية،" **فإن النبيل عند تطبيقها يترك نفسه تتقيد بواسطة اللـي."**

**\*-المـوسيـقـى:** يرى كونفوشيوس في اللـي و الموسيقى الوسيلتين الأساسيتين للتربية. فروح الجماعة تحدد الموسيقى التي نسمعها عندها، و تجد فيها روح الفرد مواضيع ترتب حياتها بواسطتها، و بالتالي تدخّل الحكومة لكي تمنع الموسيقى أو تسمح بها:" **يجب الترحيب بموسيقى شـان و إيقاعاتها و دحض موسيقى تشونغ لأن تقاسيمها منحلة."**

**\*-العـلاقـات الإنسـانيـة:** و هي المحور الأساسي للكونفوشيوسية.**" النبيل لا يستهين بأقربائه"،" يكرم النبيل كل من هو جدير باستحقاقها و يحتمل كل الناس ".**بيد أن هذا الفرد يبقى حذرا في علاقاته الشخصية:" **يحتمل النبيل أن يكذب عليه، أبدا أن يخدع. تنمّي النفس النبيلة كل ما هو حسن لدى الغير، و النفس الطالحة كل ما هو سيّئ".** فجوهر نفس الناس الذين يعيشون في جماعة ينتقل بين طرفين:" **جمال المكان يحدده الناس الذين يعيشون فيه. من له الخيار و لا يقيّم بين من هم بشر ليس بعاقل."** و يحدّد كونفوشيوس العلاقات الإنسانية كما يلي:

-***العلاقات العائلية:*** خدمة الوالدين في حياتهم، مواراتهم التراب، و تقديم القرابين لأرواحهم، كما يجب احترامهم و الخضوع لأرادتهم.

**-*علاقات الصداقة:*** و أساسها الوفاء، فالصداقة لا تتأثر بالظروف.

-***الواجبات تجاه السلطات:*" يخدم الموظف الجيّد أميره دون الخروج عن الطريق القويم، إذا أصبح الأمر مستحيلا يتخلى عن وظيفته".**

**-*الواجبات تجاه المرؤوسين:*** من يكتسب النفس النبيلة لا يجرح مشاعر موظفيه برفض خدمتهم، و لا يطلب منهم الامتياز آخذا بعين الاعتبار إمكانياتهم.

**-*عدم الاهتمام بحالة المرأة.***

**\*-نظـام الحكــم:** كل شئ ينبع من السياسة و كل شيء يعود إليها. و ثمة قطبان يحدّدان النظرية الكنفوشيوسية: **ما يجب القيام به، و ما الذي يجب تطويره.** و تكمن الأسس الرئيسية للحكم الصالح في: اللـي، الموسيقى الجيّدة، إنسانية العلاقات البشرية، و شروط حياة جماعية منسجمة. و يجب أن يتحقق هذا النمط المثالي تدريجيا. من بين طرق الحكم نجد القوانين، لكن فعاليتها محدودة و هي في حد ذاتها سيئة. لهذا فـ **المثال** و **القدوة** أفضل. فإذا كان خاضعا للقوانين فقط لا يجد الشعب أي عائق لمخالفتها، بينما يحترم القدوة. و الحكومة الصالحة هي التي تريد الوصول إلى ثلاثة أهداف: **تموين جيّد، جيش قوي، و ثقة الشعب.** و إذا استلزمت التضحية يتخلى الحاكم في أول المطاف على الجيش فالتموين، لكن لا يتخلى أبدا عن الثقة" **إذا فقد الشعب الثقة، يصبح الحكم مستحيلا."** و للقيام بشيء يبني الحاكم مخططاته على رفاهية الشعب ثم تكوينه، و ليس مباشرة على الثقة.

و تقوم الحكومة الصالحة على الأمير الصالح الذي يجب عليه ترك المجرى الطبيعي للثروات يسير دون عرقلته، كما يختار بدقة مهام الرجال. و من خصاله:

-يجب أن يكون كبيرا دون تكبر، -يجب أن يفرض الاحترام دون اللجوء إلى العنف، -مستقر كالنجم القطبي يترك الكل يدور في فلكه، -بما أنه طيّب تطيب أخلاق الشعب، -يختار الموظفين الملائمين، كرامته تزيد بكرامتهم، -الأمير الذي يعرف الخير و يريده لا يستطيع أن يحكم الأشرار.

**\*-النبيــل:** عند كونفوشيوس يقترن كل ما هو طيّب، جميل و حقيقي بمثالية النبيل( **كيون تسو** ).فهو في نفس الوقت الرجل الأسمى و الأعلى مرتبة اجتماعيا من خلال نبل المولد و النبل الشخصي، الانضباط و خصال الحكيم. و النبيل لا يولد كذلك بل يكتسب نبله عن طريق تعلم الأخلاق الحسنة.

**\*-أسـاليـب الحكــم:** تعرض كونفوشيوس لأساليب الحكم فرتّبها تنازليا و أعطى المرتبة الأولى لفضيلة الإقناع التي يمتلكها الحاكم، و المرتبة الدنيا للتهديد بالعقوبات. فقد رأى كونفوشيوس أن الحاكم يجب أن يكون قادرا من الناحية المثالية على أن يحكم دون جهد و دون أن يشعر المحكومين بسلطته. غير أن هذا لا يعني أن كونفوشيوس كان مسالما بشكل مطلق، فلقد كان يؤمن بأن هناك أوقاتا يجب أن يلجأ فيها ذوو الأخلاق إلى القوة كي يحموا أنفسهم و العالم من أن يستعبدهم أولئك الذين يرون أن القوة هي حجّتهم الوحيدة و الضمان الوحيد الذي يتفقون عليه، و لكنه كان يعتبر أن القوة هي الملجأ الأخير و الأمر الذي يجب أن يكون تابعا دائما، لا من الناحية الفكرية فحسب، بل كحقيقة ثابتة لسلطة العدالة.

و عموما فإن ما يلفت النظر في فلسفلة كونفوشيوس تحديده لوظائف الحكومة، فهو يرى أن مهمتها ليس في تجميع الثروة و لا في بناء القوة، و إنما في تحقيق الرفاهية للشعب، و لذا لعب دورا هاما خلال وجوده في أحد المناصب الحكومية في تدعيم النظام العام و الأمن وتحقيق قدر معيّن من نزع التسلّح في الدولة، و حذّر من الإقدام على أي حرب عدوانية تحت أي مبرر من المبررات.

**أشهر المدارس الفكرية السياسية الصينية:**

**1/- الداوية (الطاوية): دع الأمور تسير كما هو مقدّر لها**

كان "لاو تزي" من مقاطعة "هنان" حاليا هو مؤسّس مدرسة الداوي، و على الرغم من أن الداوية مستوحاة من مدرسة الداوي فإنها ظهرت في وقت لاحق من عهد أسرة "هان" الشرقية. ترك "لاو تزي" كتابا مؤلفا من 5000 كلمة يسمّى "داو دجينج" و يُترجم عنوان الكتاب بـ **"نظام الطريق و الفضيلة"**. يعتبر "الطريق" (داو) واحدا من المفاهيم المركزية للداوية و أصل تسميتها. تقول الداوية بوجود علاقة بين كل شيء و عكسه، و كل شيء يجب أن يتحرك نحو نقيضه؛ و يمكن التعبير عن هذا بالقول **"يكمن الحظ الجيّد في الحظ السيّء، و للحظ السيّء بذور راقدة في الحظ الجيّد"...** هذا التفكير الجدلي البسيط يشير إلى أن العالم هو وحدة واحدة تتحرك إلى الأمام وفقا لقانونها الخاص.

بعبارات أكثر تحديدا، **دعا "لاو تزي" إلى "الجمود السياسي" (وو وي) مما يعنى عدم التدخل بشكل قد يقوِّض التطور الطبيعي للأشياء. و قد لاحظ الحكام الأوائل لأسرة "هان" (202 ق.م-8م) هذه الأفكار و نفذّوا سياسة من عدم التدخل**، و قد لعب هذا دورا كبيرا في الانتعاش الاجتماعي و الاقتصادي و التطوير في أوائل فترة حكم "هان"، و لمواجهة الحروب المتكررة، وصف "لاو تزي" مجتمعه المثالي بأنه مجتمع **"لا يزور فيه الجيران بعضهم بعضا طوال حياتهم، على الرغم من سماع كل منهم صياح ديوك و نباح كلاب الآخرين".**

بعد مائة عام من وفاة "لاو تزي"، ظهر مفكر داوي آخر اسمه "تشوانج تزي" الذي عاش من سنة 369 إلى 286 ق.م. كتب الكثير من الأعمال جمعها في كتاب بعنوان "**كتاب سيد تشوانج**". تمتع بأخلاق رفيعة، و يقال عنه أنه رفض منصب رئيس الوزراء في مقاطعة "تشو". عاش "تشوانج تزي" في عصر من الاضطرابات الاجتماعية ما أدّى إلى تجاهل مثله العليا؛ فقد عبّر عن استياءه من هذه الحال دوما بقوله: **"الذي يسرق خطافا يقتل كمحتال... أما من يسرق مملكة يُعيّن حاكما عليها" في إشارة إلى الصراع على السلطة الذي كان محتدما آنذاك.**

**2/- المدرسة الموهية: الزاهدون في الدنيا**

تختلف القصص عن أصل "مو تزي"ـ واسمه الحقيقي "مو دي"ـ مؤسس المدرسة الموهية، و لأن تفكيره لا يتناسب بسهولة مع أي من مدارس الفكر الأخرى، فإنه يُعامل كمدرسة بحد ذاته، حيث تعتبر العلاقات بين المعلم و تلاميذه و إنكار الذات إضافة إلى قواعد و نظم السلوك الأخلاقي التي تتبعها تجعلها أقرب إلى التنظيمات الدينية المتعصّبة منها إلى مدارس الفلسفة. عاش نحو 468- 376 ق.م. **تعلّم الكنفوشيوسية ليجدها فيما بعد غير عملية بالنسبة لأغلبية الناس ليحيد عنها بعيدا**. فهو أحد أهم مفكري الصين القدماء وأول من شكك في الكونفوشيوسية. **عالم ملتزم ، دعا إلى الصالح العام وحكم** **الجدارة** *méritocratie* **والعمل والحذر الاقتصادي والنظام الاجتماعي**. أدّى تركيزه على الطبقات الدنيا إلى تكهّنات بأنه هو نفسه من الطبقات الوسطى أو الدنيا. من بين تعاليمه:

* **مبدأ "الحب للكون":** يعبّر هذا المبدأ عن عدم التمييز في الحب لجميع الكائنات، و يشكّل المبدأ العام للفكر الاجتماعي و السياسي لـ "مو تزي"؛ فالعقيدة الأكثر شهرة لدى المدرسة الموهية *l’école moïste* هي الحب الشامل أو الحب للكون - الذي لا علاقة له بالمشاعر أو العاطفة. "**باعتباره أساسا لكل عمل أخلاقي ، فإن الحب العالمي لموزي يفترض أسبقية الصالح العام على المصالح الشخصية ويستند إلى الاهتمام بالعدالة والاستقرار من أجل تجنب النزاعات والحروب ، من بين أمور أخرى."** إذا كان موزي ينتقد الحرب الهجومية ، فإنه ليس ساذجًا: فهو يصوغ عددًا كبيرًا من وسائل الدفاع اعتمادا على مجموعات شبه عسكرية مدربة جيدًا.
* **مبدأ "عدم الهجوم":** و يشير إلى عدم الاعتداء على الدول الأخرى، غير أن "مو تزي" كان داعما للحرب العادلة.

**قضى "مو تزي" وقته في السفر من إمارة إلى أخرى في محاولة لوقف الحروب. كما أسدى النصح للدول الصغيرة حول كيفية الدفاع عن نفسها، أما في الدول الكبرى فقد أوضح الظلم و الضرر الناجم عن الحروب في محاولة لمنعها.**

كان للموهية تأثير كبير في ذلك الوقت، فقد كانت على قدم المساواة مع الكنفوشيوسية. كانت مدرسة الموهية جماعة دينية ذات طبيعة سياسية ونظام تعليمي صارم، و كان أعضاؤها يعيشون ببساطة شديدة، وسمّي زعيم الجماعة "جو تزي"، و يترجم عادة باسم "النشّار الكبير"، مما يعزّو الزعم بارتباط "مو تزي" بطبقة الحرفيّين.

**كان على الموهيّين الذين يوصي بهم زعيمهم لتولي مناصب رسمية أن يظلوا مخلصين لتعاليمه، و إذا لم يتمكّنوا من التصرّف حسب مبادئهم فإن عليهم الاستقالة من مناصبهم**. كما أن أعضاء المدرسة الموهية ملزمون بمساعدة بعضهم لبعض؛ فكان على الأعضاء الذين عُيِّنوا مسؤولين أن يعطوا جزءا من رواتبهم للمجموعة للنفقات اليومية. **أكّدت عقيدة الموهية أن أولئك الذين لديهم قوة ينبغي أن يستخدموها في مساعدة الضعفاء، و أن أولئك الذي لديهم ممتلكات ينبغي أن يساعدوا الفقراء، و أولئك الذين كانوا متعلمين عليهم المعاونة في تثقيف الآخرين.** و كان هذا ما أسموه **"الطريقة الفاضلة".** لقد ساعدت هذه الأفكار المناصرة للطبقات الكادحة على جعل الموهية تتمتع بقاعدة شعبية عريضة و بوجود حقيقي و فعلي بين الجماهير. غير أن دعم و تبني الكنفوشيوسية رسميا أدى إلى تراجع و تقويض هذه الحركة في عهد أسرة "هان" (202ق.م-220 م) لتنتهي في أخر المطاف و تزول.

إن نقطة الاختلاف الرئيسية بين كونفوشيوس وموزي هي أن هذا الأخير أعطى الأولوية لمنطق الدولة بدلاً من الإخلاص للعائلة. معيار المنفعة هو في صميم فكر موزي ، الذي انتقد الإفراط في التأنق الثقافي والطقوس التي تمارسها النخب.

نقطة خلاف أخرى ، اعتبر موزي أن طقوس الجنازة التي وضعها كونفوشيوس (العبادة الدؤوبة للأسلاف والحداد المطول لمدة ثلاث سنوات) تتدخل في إنتاجية الناس. تضيف آنا غيغليون *Anna Ghiglione*: "كانت رؤية Mozi للعمل حديثة جدًا بمعنى أنها كانت موحدة". كان لابد من ممارسة العمل خارج جدران المنزل ومن قبل جميع أفراد المجتمع ، بما في ذلك النساء: في القرن الخامس قبل الميلاد ، عملت العديد من النساء في مجال المنسوجات ، وبهذا المعنى ، فإن صنع الملابس ليس بالأمر الجديد. في الصين!".

هكذا ، بعد ما يقرب من 2500 عام من وفاته ، يُنظر الآن إلى السيد المؤسس للمدرسة الموهية *l’école moïste*على أنه شخصية رمزية للتطور العلمي والتكنولوجي في الصين: فالقمر الصناعي الكمي الذي أطلقته الصين في المدار في عام 2016 يحمل اسمه أيضًا. بالنسبة لـ *Anna Ghiglione* ، "**قراءة موزي ليست ضرورية فقط لمعرفة المشهد الفلسفي للعصور القديمة ، فهي تسمح لك أيضًا بفهم قيم المجتمع الصيني المعاصر**".

**3/- المدرسة القانونية: المفضّلة لدى الحكّام**

كانت المدرسة القانونية بارزة من بين جميع مدارس الفكر في فترة ما قبل "تشين" (قبل 221 ق.م)، و يرجع ذلك إلى حد كبير كونها الفلسفة التي اختار الحكّام تبنّيها عكس الكونفوشيوسية و الداوية [...] لتُصبح المدرسة القانونية أكثر الوسائل فعالية للكثير من الحكّام للتلاعب بمسؤوليهم و حكم رعاياهم.

كان الاسمان الرئيسيان المرتبطان بالمدرسة القانونية هما "لي سي" و "هان في تزي"، **اللذين حوّلا الفلسفة القانونية إلى أداة خداع سياسي في يد الحكّام الإقطاعيين.** من المثير للاهتمام أن كلاهما كانا من طلاب "شون تزي"، و هو شخصية مهمة في الفلسفة الكونفوشيوسية، ففي حين لم يرفض هذا الأخير تعاليم المدرسة القانونية معتبرا أن **الحفاظ على الطقوس و الطرق القانونية يجب أن يستخدم لإعادة توحيد البلاد، أصبح كل من "هان في تزي" و "لي سي" قانونيين متعصبين**، و يُقال أنه في الوقت الذي ترك فيه "لي" معلمه "شون تزي" كان هناك بالفعل خلاف عميق بينهما، **حيث دافع "شون تزي" عن فكرة حكم البلاد بالاعتماد على سيادة القانون و العرف، حيث يجب على الجميع حتى الملك الالتزام بالعادات، و احترام الرجال للفضيلة و التمسّك بقيّم التعليم؛ في حين أن "لي" كان يرى أن الملك هو الزعيم الأعلى، و أنه لم يكن هناك صواب أو خطأ، و أن الغاية تبرّر الوسيلة.** [...] عقب ذلك قرّر "لي" الرحيل إلى مقاطعة "تشين" ليبدأ حياته المهنية إلى جانب رئيس الوزراء "لو بوي" كصديق و معاون مقرّب منه لتكون له فرصة الاتصال عن قرب بالملك. و بفضل إصلاحات "شانج يانج" أصبحت سيادة القانون أساس حكم "تشين"، و استفاد "لي" من طموحاته لضم الدول الست الأخرى فكتب كتاب **"عن الوحدة"** لإقناع الملك "يينج تشينج" بالسعي لهدف الوحدة الكبرى التي لم تغر الملك فقط بل أظهرت أيضا تمكّن "لي" من علمه، و سرعان ما أصبح على علاقة جيّدة بالملك الشاب، الذي عيّنه أولا كمصاحب (مسؤول رفيع المستوى) ثم وزير ضيف، و هو منصب يشغله أفراد من دول أخرى و لا يعلوهم سوى رئيس الوزراء، و هكذا أصبح "لي" الذراع الأيمن للملك.

بعد صدور قرار طرد كل الوزراء الضيوف و منهم "لي"، كتب هذا الأخير كتابا بعنوان **"عتاب حول الأمر بالرحيل"**، حيث جادل فيه بشكل مُقنع أن دولة "تشين" قد أحرزت تقدما بفضل الوزراء الضيوف على وجد التحديد، و نتيجة لذلك ألغى الملك أمر الطرد و ارتفعت شهرة "لي سي" أكثر مما كانت عليه.

أما التلميذ الثاني "هان في تزي" فقد تفرّغ للكتابة الفلسفية حيث كانت فلسفته في الواقع ملخّصا كاملا للفكر القانوني من بداية حقبة الدول المتحاربة، **فأنشأ نظاما قانونيا جديدا معتمدا على قانون "شانج يانج" و مفهوم "شين بوهاي" للخداع السياسي و وجهة نظر "شين داو" للسلطة، مما أعطى للحكام الإقطاعيين نظرية استبدادية كاملة سمّاها القدماء باسم "الفن الأوتقراطي"،و على وجه التحديد، كان نظام "هان في تزي" مجموعة من اللوائح القانونية التي يجب تنفيذها عن طريق الثواب الكريم و العقاب الشديد.**

من بين أهم أفكار "هان في تزي":

* التعامل مع الجرائم البسيطة بشدة من أجل وضع حد لجميع الجرائم؛
* الخداع السياسي هو الوسيلة التي يستطيع بها الحاكم السيطرة على مسؤوليه، حيث اعتبر أنه يقع على الملك أن يجعل من الصعب على المسؤولين فهم أفعاله، حيث يجب أن ينسب كل الفضل لنفسه و يُلقي بكل اللوم على مرؤوسيه؛
* من أجل ذلك لابد أن يكون قادرا على الكشف عن الغدر و يحذّر منه حتّى داخل أسرته.

أوضح "هان" بشكل علني التقنيات السرية التي يمكن من خلالها تحقيق ذلك، و **أشار بالسلطة إلى سلطة الحاكم التي يمكنها أن تُعاقب و تعدم من قد يكونون أبرياء بمجرد رغبته في ذلك. كان الهدف من إنفاذ القانون و ممارسة الخداع السياسي هو التمسّك بالسلطة.**

دعا "هان في تزي" **إلى سيادة الملوك و تركيز السلطة في أيديهم، و بينما كان يجادل بأن القانون يجب أن يكون دليل الملوك فقد انتقد كل التعاليم الأخرى، و لا سيما الكنفوشيوسية المنتشرة آنذاك و الموهية، و عارض حرية التعبير بشدة و سعى جاهدا لوضع سلسلة من الأساليب التخطيطية لكي يستخدمها الملك مدعومة بالقوانين و الأنظمة و السلطات.**

حازت أفكار "هان في تزي" على إعجاب ملك "تشين" الذي قرأ **"التحرر من وهم العالم"** و **"الشرور الخمسة"**، و أعرب عن رغبته في مقابلة المؤلِّف. و بقدر ما كان الملك "يينج تشينج" سعيدا بقدوم "هان في تزي" إلى "تشين"، فإن "لي سي" كان يعلم بأن وصول زميله السابق يمكن أن يشكّل تهديدا لمستقبله المهني، و لذلك فعل كل ما في وسعه لتشويه سمعته و خلق الشكوك حول ولائه، و من ثمّ ألقى به الملك في السجن. و بالرغم من أنه مات بالسم الذي دسّه له زميله "لي سي" فإن هذا الأخير و الملك قاما بتبنّي أفكار "هان في تزي" لتوحيد الصين كلّها.

بعد توحيد الولايات الست، قام الملك "يينج تشينج" بما يلي:

* غيّر لقبه من الملك إلى "شي هوانج" أو الإمبراطور الأول من أسرة "تشين"، و أصبحت أوامره **مراسيم إمبراطورية؛**
* نصّب نفسه "تشن" و التي تعني **"أنا السيّد"**، ليُؤسِّس **نظاما كاملا قائما على الاستبداد؛**
* **ألغى نظام منح الإقطاعيات الذي كان قائما منذ عهد أسرة "تشو" الغربية، و أنشأ نظاما من القيادات و المقاطعات؛**
* **كما خضع تعيين و عزل المسؤولين على جميع المستويات لأمر الإمبراطور المباشر، و بهذا تم إنشاء نظام استبدادي مركزي مع تحكّم القانون في جميع جوانب الحياة الاجتماعية؛**
* **من أجل إحكام السيطرة على الشعب، ذهب النظام إلى حد حرق الكتب و دفن علماء الكنفوشيوسية أحياء، و كل ذلك كان له جذوره في نظريات "هان في تزي".**

لم يُهيمن قانون "هان في تزي" على أسرة "تشين" فحسب، بل كان له تأثيره على الحقبة الإقطاعية بأكملها بما فيها أسرة "تشين" و "تشينج" (221 ق.م – 1911 م). و على الرغم من اتّباع التفكير الداوي الكلاسيكي أو الكنفوشيوسي كقناع خارجي، **كانت القانونية هي التفكير الحقيقي الذي يحدّد كيفية إدارة شؤون الدولة، و نتيجة لذلك يمكن اعتبار القانونيين هم معلمو الملوك عبر الألفي سنة الماضية.**

**4/- مدرسة الاستراتيجيون العسكريون: أساتذة قانون الحرب**

يمكن إرجاع دور الاستراتيجيين العسكريين إلى عهد "تشيو" القديم، و الذي احتُفي بشجاعتهو أصبح يُنظر إليه على أنه "سيّد المحاربين"، و حتى أنه رُفع إلى مرتبة إله الحرب حتّى عهد أسرتي "تشين" و "هان" (221 ق.م – 220 م). و في وقت لاحق، كان "جيانج شانج" من أسرة "تشو" الغربية محل التبجيل لكونه مؤسّس العلوم العسكرية، فقد أُدرج كتابه **"الاستراتيجيات الستة"** الذي يعدّ مثالا عظيما للكتابة العسكرية في الصين القديمة، كواحد من الكلاسيكيات العسكرية السبعة في أسرة "سونج" (960 – 1279).

و مع ذلك، كان أعظم استراتيجي عسكري بينهم جميعا هو "صن وو"، أو "صن تزي"(صن تزو) الذي لُقِّب لاحقا بالـ"الاستراتيجي الحكيم". وُلد في حقبة الربيع و الخريف، و أثناء إقامته في "وو" ألّف كتبا في فن الحرب، وقدّم لملكها "هو لو" **ثلاثة عشر فصلا من التكتيكات العسكرية التي بذل فيها قصارى جهده.**

لا أحد يعرف أين قضى "صن وو" السنوات الأخيرة من حياته، فتقول الأسطورة أنه قد عاش في غابة جبلية، مشغولا بكتابة عمله **"فن الحرب" ـ "سون تزي بينج فا" ـ و على الرغم من أنه أكّد أهمية الحرب، يعتقد "صن" أنها ليست أفضل وسيلة لحل الصراعات و ينبغي النظر إليها على أنها الملاذ الأخير؛ فكان النهج الأكثر حكمة في رأيه هو إخضاع العدو دون قتال.** و قد احتفظ كتابه "فن الحرب" بتقدير كبير عبر الأجيال، ليس فقط كأهم آثار التراث العسكري الكلاسيكي للصين، و لكن أيضا باعتباره واحدا من أهم الأعمال المؤلّفة في الاستراتيجية العسكرية في العالم.

يمكن الإشارة كذلك إلى كتاب كلاسيكي آخر عن الاستراتيجية العسكرية و هو كتاب **"فن صن بن للحرب".** [...] لمؤلّفه "صن بن" الذي تقلّد مناصب مسؤوليات عسكرية، و انتهى به الأمر إلى الاستقالة و الانعزال متفرّغا لدراسة النظرية العسكرية. بالرغم من اعتماده على استراتيجيات "صن وو" **فإنه قد قدّم أفكارا جديدة معتبرا أن الحرب أداة سياسية و مُشدّدا على أن تكون عادلة؛ "لأن الحرب الجائرة لا يمكن أن تجلب الاستقرار للبلاد".**

**خلاصة:**

كانت حقبتا الربيع و الخريف و الدول المتحاربة فترات تغيّر كبيرة، حيث ازدهرت الكثير من مدارس الفكر، فقد وضعت الداوية و الكنفوشيوسية و و مدرسة الموهية و القانونية و الاستراتيجية العسكرية الأسس للثقافة الصينية.

**المراجع المعتمدة:**

* غُنار سكيربك، نِلز غيلجي، **تاريخ الفكر الغربي. من اليونان القديمة إلى القرن العشرين،** ترجمة: حيدر حاج اسماعيل، الطبعة الأولى، أبريل 2012، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
* هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني. من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج،** ترجمة: عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، القاهرة، مصر، 1971.
* وو بن، **الصينيون المعاصرون. التقدم نحو المستقبل انطلاقا من الماضي. الجزء الأول،** ترجمة: عبد العزيز حمدي، لي تشين تشونغ، عالم المعرفة، العدد: 210، يونيو 1996، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت.
* مايكل ديلون، ***مختصر تاريخ الصين***، ترجمة: نانسي محمد، القاهرة، العربي للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2018
* Anna GHIGLIONE, *Mozi*, Presses de l’Université Laval, Coll/ Etudes d’histoire et de culture chinoises, 2018.
* Martin LASALLE, « La pensée de Mozi traduite en français: le maître chinois qui a contesté le confucianisme », Université de Montréal, <https://nouvelles.umontreal.ca/article/2019/01/31/la-pensee-de-mozi-traduite-en-francais-le-maitre-chinois-qui-a-conteste-le-confucianisme/>, consulté le 19/09/2022.

1. يبدو أن المقصود بـ " أوراسيـا " هنا أوروبـا و آسيـا، و ليس منطقة شرق أوروبا و غرب روسيا وفق مفهومها الحديث. [↑](#footnote-ref-1)
2. **الطوطمية** ([بالإنجليزية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%AC%D9%84%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%A9): Totemism)‏ هي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى [الطوطم](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D9%88%D8%B7%D9%85)، والطوطم يمكن أن يكون طائراً أو حيواناً أو نباتاً أو ظاهرةً طبيعية أو مظهراً طبيعياً مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحياً. وكلمة طوطم مشتقة من لغة [الأبجوا](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AC%D9%8A%D8%A8%D9%88%D9%8A) الأمريكية الأصلية. الطوطمية منتشرة في [ماليزيا](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%A7) [وغينيا](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%BA%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A7) [وأفريقيا](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7) وبين السكان الأصليين من الأمريكيين والأستراليين. وهو رفيق ومساعد مع الأرواح الخارقة، وهو مقدس في المناسبات، حيث تعتبره الجماعات كهوية لها، حيث يحرم لمسه وتحطيمه. قد تعود أصول الطوطم إلى أحد الأجداد الأوائل من [الشامان](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D8%A7%D9%85%D8%A7%D9%86). إنَّ طبيب القبيلة وساحرها هما المكلفان بتنمية العلاقة بين الأفراد والطوطم. وقد شكك بعض علماء الإنسان بوجود الطوطمية والبعض الآخر اعتبرها بداية أولية لديانة أو ثقافة وليست قائمة بذاتها. حيث ضمت اعتقادات منها الإيمان بوجود أرواح، واعتقد بعض الأنثروبولوجيين أن ظاهرة عدم تدمير الطوطم قد انسحبت على كل الطبيعة. ولعالم النفس [سيجموند فرويد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D8%AC%D9%85%D9%88%D9%86%D8%AF_%D9%81%D8%B1%D9%88%D9%8A%D8%AF) كتاب مشهور عنه اسمه [الطوطم والتابو](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D9%88%D8%B7%D9%85_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D9%88).

   **الدين الطوطمي:** كان [إميل دوركايم](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%85%D9%8A%D9%84_%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%83%D8%A7%D9%8A%D9%85) (1858 - 1917) أول من اكتشف الدين الطوطمي وما يوازيه من التنظيم الاجتماعي وهو العشيرة ورأى أن القوى الدينية هي القوة الجمعية والمجهولة للعشيرة. أما سبب اعتبار الطوطم مقدس فيرجع إلى أنه يمثل رمز للجماعة نفسها فهو يجسد القيم المحورية في حياة الجماعة أو المجتمع وليست مشاعر الإجلال والإكبار التي يحملها أفراد الجماعة إزاء الطوطم إلا تعبيرا عن احترامهم للقيم الاجتماعية الأساسية السائدة بينهم. إن موضوع العبادة هو المجتمع نفسه الذي يسعى إلى أن يؤكد ذاته بذاته، ويرسخ شرعيته وقيمه ومن هنا فإن الآلهة هي صورة للمجتمع وليس المجتمع صورة للآلهة وأن الديانات لا تنحصر في المعتقدات فحسب، بل تتجاوزها لتشتمل على مجموعة من الأنشطة الطقوسية والاحتفالية الدورية التي يتجمع فيها المؤمنون ويلتقون معاً. ويؤدي الانفعال الجمعي دورا مهما في التحولات الاجتماعية الكبرى حيث يولد الدين داخل بيئة الانفعال الجمعي وقد يتراجع فيها أيضا. [↑](#footnote-ref-2)